تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 68- سورة اَل عمران | من الأية 691 إلى 891

عبدالرحمن العجلان

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد - 00:00:00

لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار هذه الايات الكريمة من سورة ال عمران - 00:00:28

جاءت بعد قوله جل وعلا فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الاية يقول جل وعلا لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد - 00:00:57

متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته تبع له وقيل الخطاب في قوله لا يغرنك الى كل من يتأتى خطابه يعني كل انسان - 00:01:25

يعقل يقال له لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد يعني لا تغتر بهم لا تشك في طريقك ما دمت متبع للسنة فلا تنظر الى هؤلاء لا تغتر لان بعض الناس يجهل - 00:01:58

الامر فيقول مثلا الكفار في نعمة ويذهبون ويعودون ويتقلبون في التجارة والكسب وهم في رغد العيش وفي اعزاز وتكريم والى اخره ونرى كثيرا من المؤمنين في فقر وحاجة ولا يستطيع المرء ان يذهب من بلد الى بلد - 00:02:25

ومضيق عليهم في بعض امورهم ونحو ذلك فقد يشك ضعيف الادراك يقول يمكن هؤلاء احسن من اولئك يمكن حال الكفار احسن من حال المؤمنين. لان حال الكفار نرى انهم في رغد العيش - 00:02:56

وفي الكسب والتجارة والتصرف والمؤمنون في حالة بعظهم يرثى لها وقد يتأثر من هذا يشك في طريقه او يكسل في مواصلة الطريق الى الله جل وعلا فيقول الله جل وعلا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم - 00:03:16

او لكل من يتأتى خطابه لا تغتر في حال الكفار وان اعطوا من الدنيا ما اعطوا من المال والجاه والتقلب في الاسفار والكسب وغير ذلك لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل - 00:03:46

متاع المتاع ما هو؟ هو ما يتمتع به في وقت وينتهي اكلة يقال لها متاع لبسة يقال لها متاع نزهة يقال لها متاع يعني شيء محدود يستمتع به الانسان وينتهي وينقضي - 00:04:12

يقول الله جل وعلا وعلا متاع قليل قد يقول قائل نرى الواحد يمتع في النعمة والخير سبعين سنة وثمانين سنة واكثر من هذا فهل يعتبر هذا قليل؟ نقول نعم كل الدنيا من اولها الى اخرها قليلة بالنسبة - 00:04:39

للدار الاخرة كل شيء ينتهي فهو قليل بخلاف الدار الاخرة فنعيمها باقي. ما يظمحل ولا ينقص ولا يتغير ولا يبلى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل. يعني هذا وما هم فيه من النعمة - 00:05:02

متاع قليل ثم مأواهم جهنم ومستقرهم ومصيرهم الى جهنم وقد جاء في الحديث ان الرجل من اهل النار الذي نشأ في الدنيا في نعمة اذا ولج النار وصبغ فيها صبغة قيل له هل رأيت خيرا قط - 00:05:35

هل مر بك خير قط؟ يقول لا والله ما مر بي خير قط ولا رأيت خيرا قط ينسى كل ما مر به من نعيم الدنيا ينسيه اياه عذاب الاخرة

والعياذ بالله - 00:06:08
ويؤتى باشد الناس بؤسا في الدنيا فيصبغ في الجنة صبغة يدخلها فيقال له هل مر بك سوء قط هل مر بك تعب قط؟ يقول لا والله ما مر بي سوء قط ما دام انه في هذا النعيم نسي كل ما مر به من - 00:06:25
والتعب والنكد والاضطهاد وغير ذلك لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل. والدنيا كلها قليلة ومهما متع الانسان في الدنيا فاذا اخذت منه او اخذ منها كأن لم يكن شيء - 00:06:49
نسي كل ما مر به كما قال الله جل وعلا ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون - 00:07:18
وقال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ والايات في مثل هذا المعنى كثيرة. حل حتى لا يغتر بعض الناس او يقارن لان الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة - 00:07:50
ما سقى منها كافرا شربة ماء ولكن الله جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب والعطاء من الدنيا لا يدل على المحبة كما لا يدل على الكراهة والبغض - 00:08:12
والحرمان من الدنيا لا يدل على المحبة كما لا يدل على الكراهة والبغض والله جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب. ويحرم الدنيا من يحب ومن لا يحب - 00:08:30
كل هذا موجود وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربط على بطنه الحجر من شدة الجوع واحيانا الحجرين ما يكفي الحجر الواحد ما يقوم صلبه يسقط عليه الصلاة والسلام وابو هريرة رضي الله عنه من خيار الصحابة ومن حفظة الحديث - 00:08:49
يقول يمر بي المار يظن اني مجنون. صريع ما ادرك شيء من الجوع من شدة الجوع وخرج النبي صلى الله عليه وسلم مرة من بيته فالتقى بابي بكر ثم التقى بعمر - 00:09:12
فقال لي ابي بكر ما اخرجك في هذه الساعة؟ قال اخرجني الجوع يا رسول الله. ما واهل البيت جياع فخرج وقال لابي بكر لعمر رضي الله عنه ما الذي اخرجك؟ قال اخرجني الجوع يا رسول الله - 00:09:31
وقال والذي نفسي بيده اخرجني الذي اخرجكما. ما خرجت الا من الجوع ثم ذهبوا الى واحد من الانصار رضي الله عنهم فقدم لهم الطعام فاكلوا منه فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لتسألن عن هذا النعيم - 00:09:53
وتقول عائشة رضي الله عنها في احد التابعين انا لنرى الهلال ثم نرى الهلال ثم نرى الهلال ثلاثة اهله في شهرين وما اوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. للطبخ ما في شي يطبخ - 00:10:17
ما عنده شي يطبخونه. ما اوقدت النار للطبخ ابدا قلت يا اماه ما طعامكم قالت الاسودان التمر والماء وهو قليل جدا وما شبعوا من التمر حتى فتحت خيبر لما فتحت خيبر قال بعضهم لبعض الان نشبع من التمر - 00:10:42
يقول رضي الله عنه رضي الله عنه الاسودان التمر والماء الا انه كان لنا جيران من الانصار عندهم منح وكانوا يرسلون الى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من اللبن فيشرب منه ويسقينا - 00:11:09
يعني احيانا نخلط مع التمر والماء شيء قليل من اللبن اذا تيسر هذا واعطى عليه الصلاة والسلام مع هذه الحاجة. وهذا الجوع اعطى رجلا غنما بين جبلين لا يحصيها عاد - 00:11:28
واعطى رجلا اخر مئة من الابل ثم استزاده فاعطاه مئة ثم استزاده فاعطاه مئة ثلاثمائة من الابل لرجل واحد. لانها لا قيمة للدنيا عنده ولا يدخر منها شيء عليه الصلاة والسلام - 00:11:50
واذا جاءته الغنائم وزعها في الحال ما يبقي منها شيء فلا يهتم عليه الصلاة والسلام للدنيا ولا يدخر منها شيء. عليه الصلاة والسلام وقد يكون لبعض الصحابة رضي الله عنهم - 00:12:08
الخير الكثير والتجارة والربح وسعت المال ينفقونها في سبيل الله رضي الله عنهم فبعض الصحابة في سعة وخير وكثرة مال وبعض الصحابة في فقر وحاجة وجوع رضي الله عنه ولا يدل على محبته لهذا ولا لبغضه لهذا كما لا يدل على العكس - 00:12:35

وانما الله جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يغتر المرء مثلا اذا رأى انه وسع عليه بالدنيا يقول هذا دليل على ان الله راض عني لا ما هو بدليل - 00:13:03

ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد. يعني الجهنم تكون بمثابة المهد لهم. يعني يدخل في وسطها مثل المهد للصبي - 00:13:20

المهدي يختلف عن الفراش المهد هو الذي يلف فيه الصبي لفا. يعني من جميع يحيط به وجهنم تحيط به من جميع الجهات ثم قال جل وعلا لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار - 00:14:00

لكن استدراك يعني حال هؤلاء تختلف عن اولئك هذا في الدار الاخرة ولا قد يفظل الكافر على المؤمن في الدنيا لكن الدنيا ليست معيار ولا مقياس اتقوا اتقوا اتقوا الشرك يعني حذروه - 00:14:29

وليس المراد والله اعلم اتقوا المعاصي لان اهل الجنة قد يكون لهم معاصي. والمؤمن يقع في شيء من المعصية. لكن يستغفر الله ويتوب اليه. والمعاصي نوعان كبائر وصغائر الذنوب كبائر وصغائر - 00:14:55

الكبائر ما توعد الله جل وعلا عليه في نار او لعنة او غضب او رتب عليه حد في الدنيا والصغائر ما كان دون ذلك والصغائر يكفرها الله جل وعلا لعباده بالصلوات الخمس - 00:15:17

والخطى الى المساجد والوضوء والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان والاعمال الصالحة يكفر الله جل وعلا بها الاعمال السيئة من الصغائر واما الكبائر فان الله جل وعلا يكفرها لعبده بالتوبة منها - 00:15:41

اذا تاب منها العبد في حال الدنيا وان عظمت وان كثرت فالله جل وعلا يتوب عليه. قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم - 00:16:07

فان مات مصرا عليها كالذي يموت وهو مستمر في شرب الخمر او يموت وهو يسرق او يموت وهو يزني واقع في كبيرة من كبائر الذنوب ما يقال هذا كافر هؤلاء يدخلوا الجنة - 00:16:27

يقال هذا تحت المشيئة. امره الى الله جل وعلا ان شاء جل وعلا غفر له من اول وهلة وادخله الجنة. وان شاء جل وعلا عذبه بذنوبه ثم مآله الى الجنة - 00:16:45

من مات على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم بالذنب وان كبر ما لم يصل الى حد الشرك خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يكفرون المسلم - 00:17:01

ولذا كفر بعض الخوارج بعض الصحابة رضي الله عنهم وكفروا بعضا ممن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة النبي صلى الله عليه وسلم يشهد له بالجنة ويأتي الخارجي المارج - 00:17:29

ويقول لا هو خالد مخلد في النار. انت اعلم ام رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اتاك وحي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الله جل وعلا يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - 00:17:50

يقول الا اني اوتيت القرآن ومثله معه عليه الصلاة والسلام ينطق بالحكمة وينطق بالحق وهو الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ويقول جل وعلا لكن الذين اتقوا ربهم اتقوا الشرك - 00:18:11

اجتنبوا الشرك وان وقعوا فيما وقعوا فيه من المعاصي لهم جنات والجنة مثل ما تقدم سميت جنة لانها مستورة بالاشجار والبستان يقال له جنة لانه يستر ما تحته والجن يقال لهم جن لانهم مستورون عنا ما نراهم - 00:18:34

لهم جنات جمع جنة تجري من تحتها الانهار تجري تسير الانهار فيها وجمع الانهار لان فيه انهار من ماء غير اس وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمره - 00:19:03

اللذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وكلها تجري في منازل اهل الجنة بغير اخدود ما يحتاج ان يوضع لها خد تمشي فيه او ساقي او نحو ذلك تجري من تحتها الانهار خالدين فيها. خالدين الخلود الاستمرار - 00:19:25

المرء مثلا قد يكون له جنة في الدنيا يكون له بستان يكون له حديقة يكون له شيء من النخيل والاشجار وهكذا الى اخره لكن ما فيها

خلود هذي اما ان يموت هو ويتركها - 00:19:55
واما ان تفنى وهو حي يصيبها اعصار فيه نار فيحرقها اما انهار وجنات الاخرة فهي باقية مستمرة والمرء خالد فيها والمرء في الدنيا اذا نال شيئا من النعمة مثلا ثم تذكر انه تارك لهذا او منزوع منه يتأثر - 00:20:13
بشر بنعيم الاخرة بانه خالد فيه دائما وابدا لا يتحول تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله نزل ضيافة وتكريم من الله ما هم من شخص او تجميع - 00:20:42
او بكسبه وكدا لا هذه ضيافة من الله جل وعلا وجاء في الحديث من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح يعني سواء كان مسيره الى المسجد صباحا او مسيره الى المسجد مساء. فالله جل وعلا يعد له ضيافة - 00:21:09
والمتوجه الى المسجد متوجه الى ضيافة الله جل وعلا وحق على المضيف ان يضيف ويكرم ضيفه والله جل وعلا اكرم الاكرمين نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار. والذي عند الله - 00:21:37
خير للابرار وما عند الله خير للابرار. يعني ما اعده الله جل وعلا للابرار والابرار جمع بر والبر هو الذي بر وعمل بالبر وبر والديه وبر ولده ومطلوب من المرء ان يضر والديه وان يبر ولده - 00:22:03
يمر والديه مكافأة لهم على ما قاموا به نحوه ويبر ولده لاجل ان يقوم الولد ببره فيما بعد ويعيد اليه ويرد عليه ذلك مثل ما بر هو ووالديه يبره ولده باذن الله - 00:22:41
وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يقول ما من مؤمن الا والموت خير له وما من كافر الا والموت خير له يقول الموت خير للمؤمن يعني ما هو باستعجاله - 00:23:08
يعني اذا مات يقال نال الخير والكافر الموت خير له من بقائه في الدنيا ومن لم يصدقني يقول ابو الدرداء رضي الله عنه فان الله جل وعلا يقول وما عند الله خير للابرار - 00:23:30
ويقول ولا يحسبن الذين كفروا ان ما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا واسمه ولهم عذاب مهين. فاستدل رضي الله عنه بان الموت خير للبر والفاجر لان البر ينال ما عند الله جل وعلا والله جل وعلا يقول ما عند الله خير للابرار - 00:23:57
وخير للفاجر لان بقاؤه في الدنيا زيادة في عذابه يمهل وتكثر سيئاته وجرائمه اعماله السيئة. فهو اذا مات يستريح ويستراح منه وما عند الله خير للابرار فهو جل وعلا يخبر بان ما عنده لعباده المؤمنين - 00:24:26
خير مما هم فيه في الدنيا مهما كانوا فيها منعمين ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى بالنسبة للمرء في الدنيا اذا فقد صفيه وخليله يبكي عليه انه مات بينما هو انتقل من دار الشدة ودار الضيق ودار النكد ودار التعب الى الراحة والنعيم - 00:24:55
في روضة من رياض الجنة ويمثل هذا رحمه الله بالتوأمين في البطن يقول اذا كان في بطن المرأة توأمين وخرج احدهم اللي ما موجود باقي يصيح عليه يعني فقد اخاه خرج - 00:25:25
بينما هو خرج من الضيق الى السعة وهو لا يدري ما خروجه؟ كذلك المؤمن في الدنيا مثلا يبكي على صفيه اذا مات بينما هو انتقل الى روضة من رياض الجنة - 00:25:50
الى خير والله جل وعلا يقول وما عند الله خير للابرار المؤمن يعمل الصالحات ويجتهد فيها لينال الخير من الله جل وعلا قال المؤلف رحمه الله ومعناه لا تنظروا الى هؤلاء لا تنظر الى هؤلاء الكفار - 00:26:07
مترفون بي مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور عما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتهنين لا تغتر بهم يعني لا تظنهم في حال خير او سعادة لا تغتر بهم مآلهم الى جهنم وبئس المهاد - 00:26:38
ويصبحون مرتهنين باعمالهم السيئة وانما نمد لهم فيما هم فيه استدراجا وجميع ما هم فيه متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وهذه الاية وهذه الاية كقوله تعالى لقوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد - 00:27:00
وقال تعالى متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقال تعالى نمتعهم قليلا ثم نظرهم الى عذاب غليظ وقال تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا اي قليلا. وقال تعالى - 00:27:25

فمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم يوم القيامة من المحظرين ثم يوم ثم هو يوم القيامة من المحظرين من المحضرين في النهار والايات في هذا المعنى كثيرة في القرآن حتى لا يغتر - 00:27:44
المؤمن بحال اهل النعيم من الكفرة الفجرة ولا يغتر بهم والله جل وعلا يمهل ولا يهمل وقد يكون النعيم في الدنيا لبعض الناس استدراج والعياذ بالله حتى لا يرعوي ولا ينتهي عما هو فيه - 00:28:01
ويستمر على عصيانه وطغيانه حتى يؤخذ على غرة والعياذ بالله وهكذا لما ذكر حال الكفار لما ان مآلهم الى النار قال بعده لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها - 00:28:25
والتقوى وصى الله جل وعلا بها وقد يوصي بها في الاية الواحدة اكثر من مرة لاهميتها يقول جل وعلا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون - 00:28:49
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله يوصي بالتقوى جل وعلا اكثر من مرة في الاية الواحدة - 00:29:15
وبشرها العلماء رحمهم الله بتفسيرات من اجمعها ان تعمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله خوفا من عقاب الله - 00:29:35
فما يعمل الطاعة مجاراة او رياء وانما يعملها لانها طاعة. يعملها يرجو ثوابها عند الله ولا يترك المعصية خوفا من الولاية او خوفا من الوالدين او نحو ذلك وانما يتركها - 00:29:59
خوفا من الله جل وعلا لان الله يبغضها قال بعده لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الا النهار خالدين فيها. نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار. عن عبدالله بن عمرو قال - 00:30:22
انما سماهم الله الابار لانهم بروا الاباء والابناء. كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وعن ابي الدرداء انه كان يقول ما من مؤمن الا والموت خير له. وما من كافر الا والموت خير له. ومن لم يصدقني فان - 00:30:48
الله يقول وما عند الله خير للابرار ويقول ولا يحسبن الذين كفروا ان ان ما نملي لهم خيرا لانفسهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:31:07
وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:31:30